وفيها ورد الخبر بوفاة

سعد الدين محمد بن المُؤَيَّد بن حَمُّوية[1]

ابنُ عَمِّ صدر الدين شيخ الشيوخ بخراسان.

كان زاهداً، عابداً، ورعاً لطيفاً، يتكلَّم في الحقيقة، وله مجاهداتٌ ورياضات، وقدم مِصْر، وحَجَّ، وسكن الشَّام، فأقام بقاسيون مُدَّة في زاويةٍ يتعبد، ومعه جماعةٌ من أصحابه، وبلغ به الفقر إلى حالٍ شديدة، ومع ذلك فلم يكن يتردَّدُ إلى أحدٍ من أبناء الدُّنيا، ولا إلى بني عمه ولا يلتفت، ولما ضاق به الحال توجَّه إلى خراسان، واجتمع بملوك التَّتر، فأحسنوا به الظن، وأعطوه مالاً كثيراً، وأَسْلَمَ على يده خَلْقٌ كثير منهم، وبنى بآمل خانكاه وتربة إلى جانبها، وأقام يتعبَّد، وله قَبُول عظيمٌ هناك، فقال في بعض الأيام: أريد أَنْ أزور جدي محمد بن حَمُّوية ببُحَيْراباذ، فمضى إليه وزاره، وأقام عنده أسبوعاً، فمات، ودفن إلى جانبه، وقيل: إنه مات سنة خمسين وستّ مئة.

السنة الثانية والخمسون وست مئة

فيها وصلتِ الأخبارُ من مكة بأَنَّ ناراً ظَهَرَتْ في أرض عدن في بعض جبالها، بحيث يطير شَرَرُها إلى البحر في اللَّيل، ويصعد منها دُخانٌ عظيم في النَّهار، فما شكوا أَنَّها النار التي ذكر النَّبيُّ ﷺ أنها تظهر في آخر الزَّمان، فتاب النَّاس، وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد، وشرعوا في أفعال الخير والصَّدقات.

[وفيها أقطع الملك [المعزّ] إيدغدي العزيزي دمياط زيادة على خبزه، وتعمل ثلاثين ألف دينار.

فصل: وفيها توفي شهاب الدين كوجيا، بات وهو يشرب الخمر، فأصبح سكراناً نائماً ميتاً.

واتفق الصلح بأن يكون ابن أقسيس، ويلقب بالأشرف هو السلطان، وخطب لهما بمكة، وضربت السكة باسمهما.

وأخذت مدرسة الصَّالح من القاضي بدر الدين، ودفعت إلى ابن عبد السلام.

---

(١) له ترجمة في «الوافي بالوفيات»: ٥/ ١٥١ ، و«نزهة الأنام»: ٢١٧ـ٢١٨ ، و«النجوم الزاهرة»: ٧/ ٣١ .

وفيها قدم أقطاي من الصعيد بالمسلمين أسارى، ونهب أموالهم، وأسر ابن عم الشريف بن ثعلب، وشنق تحت القلعة][1].

وفيها وصلتِ الأخبار من المغرب باستيلاءِ إنسانٍ على إفريقية، وادَّعى الخلافة، وتلقب بالمستنصر، وخُطِبَ له في تلك النواحي، وأظهر العدل [والإنصاف، وبنى له][1] برجاً، وأجلس الوزير والقاضي والمحتسب [والوالي][1] بين يديه، يحكمون بين الناس.

وفيها وصل الشَّريف المرتضى من الرُّوم، ومعه بنتُ علاء الدين صاحب الرُّوم من بنت العادل، تزوَّجها الملك النَّاصر يوسف بن محمد، فَزُفَّت إليه بدمشق، واحتفل لها احتفالاً عظيماً، وأظهر تجمُّلاً كثيراً لم يُرَ مثله، وتلقاها قضاة البلاد والولاة والنواب بالهدايا والإقامات من الرُّوم إلى دمشق.

[وفيها][1] حج القاضي بدر الدين قاضي مصر في البحر، وعاد في البر.

وفيها مات الواسطي العماد الواعظ بمصر، وكان قد قال على المنبر: إن الله خلق آدم بيديه، وأومأ إلى يد نفسه. فعزر، وعزموا على قتله.

وكان يعظ في الأعزية، فحصل له منها مال كثير، فأخذه الحشوية، وهذا المذكور كان بدمشق لا يُلتفت إليه، ويستثقل، فلما فارقت دمشق بعد موت الأشرف، تعصّب له السَّامري، وكان يحضر مجلسه، ويمدحه الواعظ بما ليس فيه، وكان قصد السامري أن يقيمه موضعي، وتعصب له النجم بن سلام والجماعة، وظهر في تلك الأيام من النفاق ما كان يبدو من المنافقين في زمان النبي ﷺ، وردّ الله كيدهم في نحورهم، وانعكست عليهم الأمور. وكان الدماشقة إذا جلس في الجامع يصيحون من جوانب الجامع: لا عاش المشبهون.

ليسَ التَّكَحُّلُ في العَيْنَيْنِ كالكَحَلِ[2]

وترك الوعظ، فلما أخذت دمشق هرب هذا الواعظ إلى مصر، ومات بها.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) هذا عجز بيت للمتنبي، صدره: لأن حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تكلّفه

من قصيدة مطلعها:

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل ... دعا فلبّاه قبل الركب والإبلِ

وهي في «ديوانه»: ١٩٨-٢١٢.

وفيها مات أقطاي بمصر قتلة شنيعة، وكان قد طغا وبغى وتكبر وتجبر، بحيث إنه كان إذا ركب من داره بالقاهرة إلى القلعة يقتل جماعة ولا يلتفت إلى الملك، وهو الذي قتل المعظم وباشره، وأكب عليه، وصاهر أصحاب حماة، واختلفوا في جهاز العروس، وحملوها إلى دمشق في محمل عظيم، وعجب الناس من بنت الكامل كيف سمحت لذلك العبد بالمصاهرة مع عدم الكفاية، فإنها كريمة الطرفين من ناحية الأب والأم، ولما لم يغر أحد لها غار الله، فسلّط على أقطايا من قتله أقبح قتلة، ومثل به أعظم مُثْلة، وكان قد طلب من الملك القلعة ليسكن العروس فيها، فاتفق مع شجرة الدر على قتله، واستدعاه، فقتله بالقلعة، وهربت البحرية إلى الشام.

عبد الحميد الخسروشاهي[1]

كان إماماً، فاضلاً في فنون [شتى][2]، وصحب الفَخْر الرَّازي ابن خطيب الرّي، وأقام عند الملك النَّاصر داود سنين كثيرة بدمشق والكَرَك، وكان متواضعاً، كبيرَ القَدْر، كَيِّساً، محضر خير، لم يُنقل عنه أنه آذى أحداً، وإن قدر على نفع وإلا سكت، توفي بدمشق، ودفن بقاسيون على باب تُرْبة المعظم، رحمه الله.

السنة الثالثة والخمسون وست مئة

فيها عاد النَّاصر داود من الأنبار إلى دمشق بعد أن حبسه الملك النَّاصر يوسف بقلعة حمص ثلاث سنين، وبعث به إلى بغداد، ثم عاد إلى دمشق، فأقام بها، ثم عاد في سنة ثلاثٍ وخمسين إلى العراق، وحَجَّ، وعاد، فأقام بالحِلَّة، وكان قد جرى بين الحج العراقي وأصحاب مكة فتنة، فأصلح بينهم.

---

(١) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ١٠٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته، وانظر ترجمة الفخر الرازي في وفيات سنة (٦٠٦هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).